

مصطلح الشعرية (الأدبية) بين عبد المالك مرتاض وصالح فضل

عبد الرشيد هميسي -
جامعة سطياف

ملخص :

شغل مصطلح الشعرية (الأدبية) الأوساط الأدبية والنقدية منذ أن طرحه جاكوبسن بقوة في بدايات القرن العشرين ، وانتقل هذا المصطلح إلى النقد العربي عبر نقاد كبار أمثال عبد الملك مرتاض وصالح فضل وغيرهما ، إلا أن البيئة العربية المستقبلية لهذا المصطلح كانت مزودة بمصطلحات مشابهة له : كالديباجة ، والماء الشعري ، وحسن النظم ، والماء الشعري ، ومصطلح الشعرية أيضا ، الأمر الذي أدخل مصطلح الشعرية في معركة مع هذه المصطلحات النقدية القديمة ، فتفرق النقد إثر ذلك إلى ثلاثة مذاهب : مذهب رحب بالمصطلح الجديد وكأنه لأول مرة يُخلق في الوجود ، ومذهب اعتبره تكرارا لما هو موجود في النقد العربي القديم ، ومذهب جمع بين المصطلح الجديد والمصطلح القديم محاولا أن يخلق تعايشا بينهما .

وهذا المقال يقدم قراءة في فهم مرتاض _ ذي الثقافة الفرنسية _ لمصطلح الشعرية ، وفهم صالح فضل _ ذي الثقافة الانجليزية _ للمصطلح نفسه ، ثم يقوم بالموازنة بينهما .

RESUME:

Le terme de poétique littéraire a occupé la tension de milieu littéraire et critique depuis sa forte proposition par Jakobson dans les débuts de vingtième siècle. Puis des grands critiques arabes ont commencé d'utiliser ce terme à l'instar d'Abdel Malek mortadh, Salah Fadhl et des autres critiques. Mais le milieu arabe qui reçu ce terme, a déjà possédé des termes similaires comme : Le préambule, l'eau poétique, la bonne versification et le terme de poétique lui même aussi, la chose qui entre le terme de poétique littéraire dans une compétions avec les autres anciens termes critiques, et comme conclusion de cette compétition les critiques se divisent en trois doctrines : la première a souhaité la bienvenue au ce terme comme qu'il est crée pour la première fois, et la deuxième lui considère une répétition de qui est déjà existé dans l'ancien critique arabe, et la troisièmes doctrine a essayé de créer une

combinaison entre les anciens termes et ce nouveau terme sous forme de coexistence.

Cet exemple donne une explication de la compréhension de Mortadh - qui a une culture française – pour le terme de poétique et la compréhension de Fadhl – qui a une culture anglaise – pour le même terme, puis il (cet exemple) compare entre le deux compréhensions .

مصطلح الشعرية عند عبد الملك مرتاض :

عاد عبد الملك مرتاض – خلال طرحه لهذا المصطلح – إلى التراث النقدي العربي القديم ليستخرج لنا أصل المسألة المتطرق لها ، فقد تعرض لمقولة الجاحظ المشهورة (المعاني مطروحة في الطريق ...) وأقر بأنها بعض هذه الأدبية ولكن في ثوب جديد و ذهب إلى القول بأن البلاغيين العرب القدامى أعنتوا أنفسهم في " التماس هذه الأدبية في مظاهر مختلفة ولا سيما تحت ما كانوا يطلقون عليه (البيان) " (1) و أضاف إلى ذلك مصطلح الأمدي وهو (الديباجة) .

وقد وضع مرتاض تعريفا لمصطلح الأدبية عندما قال :

" أننا نفهم من الأدبية جوهر الأدب ، والجوهر هنا ليس بالمعنى الفلسفي للأشياء ، وإنما يعنى ببساطة أجمل ما في الأدب ، وأصدق ما في عاطفته ، وأدفاً ما في جوه ، و أروع ما في نسجه " (2)

يلاحظ الباحث أن هذا التعريف يفتقد للصرامة العلمية – التي تعودناها عند مرتاض – ، ويميل إلى الإنشاء .

وقد فرق مرتاض في تعريفه للأدبية بين القارئ العادي والقارئ المحترف فهما ليسا سيان عنده ، يقول :

" إنها بالقياس إلى القارئ العادي مجرد تلقي شعور ما بالجمال يتمتع النفس ويغذي القلب أما بالقياس إلى القارئ المحترف (الناقد) ، فإنه يبحث في عناصر مشكلاتها ، و مكونات التأثير فيها ، ثم مكونات التأثير فيها من بعد ذلك " (3).

فمن خلال هذين التعريفين يلاحظ الباحث أن القارئ العادي (وهو حسب فهم الباحث كل قارئ للأدب دون أن يصل إلى درجة الناقد) يحس بالأدبية دون أن يبحث في حقيقتها ولا كيف دخلت النص أو العناصر التي أوجدتها ، أما القارئ المحترف/الناقد فهو الذي يبحث في العناصر التي أطلقت هذه الأدبية وكيف أطلقت وكيف أثرت في النص ، كما أن مرتاضاً ينفي أن تكون أدبية الأدب مجرد شيء نلمحه في النص ثم عند بحثنا عنه لا نجد شيئاً ، فالأدبية ليست كائنات وهمية .

هذا عن المفهوم ، أما عن قضية الاصطلاح فقد لاحظ الباحث تطورا في استعمال المصطلح المناسب لهذا المفهوم و اختلافا :

1/- في كتابه (النص الأدبي من أين ؟ وإلى أين) الذي ألفه سنة 1983 يقول :
" اسم (La Poétique) هو مصطلح أسني جديد لم تجد له العربية بعد مقابلا مقبولا ، إن ترجمته بالإنشائية أو الشعرية لا يعني كبير شيء فـ " البويتيك " عند جاكوبسن هو وظيفة اللغة الفنية للكتابة أو (Le langage) التي بواسطتها يمكن أن تكون رسالة عملا فنيا على الرغم من أن البويتيك لا يقتصر على دراسة مشاكل اللغة الفنية للكتابة وإنما يجاوز هذا المجال الضيق إلى نظرية الإشارات " (4).

2/- في كتابه (أ. ي) الذي ألفه سنة 1987 م . يقول :
" ... انعدام هذا الشيء الذي كان القدامى يطلقون عليه الماء الشعري ، وقد نطلق عليه نحن المعاصرين : أدبية الشعر – أو البويتيك أو الإنشائية أو الشعرية (Poétique) لم يعد النص شعرا و لو توافرت له كل الأصوات الجميلة والإيقاعات السخية " (5) بالمقارنة بين العبارتين نخلص إلى أن مرتاضا قد تخلص عن التعريب (البويتيك) إلى الترجمة (الشعرية) .

3/- يقول مرتاض في كتابه (النص الأدبي من أين ؟ وإلى أين ؟) :
" ونحن نحسب أن كثيرا من الآثار الشعرية التي تندرج تقليديا تحت هذا العنوان ليس لها من الشعرية (و الشعرية هنا ليست بمعنى " البويتيك " وإنما هي بمعنى اشتغالها على روح الشعر ومعاييره التقليدية) " (6)
من هذا النص يستطيع الباحث أن يقول بأن الشعرية – حسب مرتاض – لا تطابق (البويتيك) تماما .

و لننظر إلى النص التالي :
4/- يقول مرتاض " لم نجد فرقا كبيرا بين الشعر الفني والنثر الفني اللذين يجب أن يتعانقا ليشكلا رافدا أدبيا واحدا هو الشعرية أو البويتيكا " (7)
من خلال هذه المقولة يلاحظ الباحث – حسب مرتاض – أن لا فرق بين (الشعرية) و (البويتيكا) في حين أن مرتاضا كان يفرق بينهما في النص الذي قبله .
5/- يطابق مرتاض بين مصطلح (الماء الشعري) و مصطلح (الأدبية) حينما قال :
" فالناظم قد ينظم أرجوزة ذات إيقاع ، و يكون بدون ماء شعري أي بدون أدبية " (8) .
ونحن نعلم أن مصطلح (الماء الشعري) قديم أتى به الجاحظ (9).

6/- يقول مرتاض : " فقد يصادفنا كثير من الشعر الذي لا يحمل من الشعرية أي صفة من صفات الأدبية " (10) .

7/- يقول كذلك : " ثم كأي من نثر استطاع أن يسمو عن نثره و يتعلق بالشعرية أي يشرب إلى ما كان من أجله أصلا و هو أدبيته التي يجب أن تميزه تميزا " (11).

بالمقارنة بين القولين السابقين نجد أن مرتاضا يجعل الشعرية جزء من الأدبية في العبارة (6) ، و يطابق بين الشعرية والأدبية في العبارة (7) . و نضيف إلى هذا عبارة أخرى تؤكد هذا الأمر هي : " لكن الذي يعيننا هنا و الآن هو النص الأدبي الخالص الأدبية و الأدبي هنا في تمثلنا ممتد إلى الشعري شامل له معادل لمعناه " (12) .

8/- يسوي مرتاض بين العديد من المصطلحات لترجمة أو لتعريب مصطلح غربي واحد هو (Poétique) في قوله : " انعدام هذا الشيء الذي كان القدامى يطلقون عليه الماء الشعري و قد نطلق عليه نحن المعاصرين : " أدبية الشعر " أو " البوتيك " أو " الإنشائية " أو " الشعرية " (Poétique) " (13) .

و لعل هذا التعدد في إطلاق المصطلح مرده إلى جدة هذا المصطلح على الساحة النقدية العربية لأن هذا النص كان في الثمانينات من القرن الفارط . و سنرى كيف استقر مرتاض عند مصطلح واحد في كتاباته الأخيرة .

9/- استعمل مرتاض في مكان الشعرية الشاعرية عندما قال : " فلفظ الصباح مثلا من الألفاظ الشعرية حتما و لكننا لو استخدمناه في جملة مبتدلة عادية كأن نقول (جاء الصباح) لما حمل من الشاعرية شيئا إلا هذا النور الذي نلمحه في مدلوله و لكننا لو أسبقناه باسم و شبهناه به ثم أضفينا عليه وصفا لدخل معجم الشاعرية من بابها العريض " (14) و قد كرر هذا المصطلح مرة أخرى في مرجع آخر : " وعلى أن من حسن حظ القصة الجزائرية المعاصرة أن لغة هؤلاء الكتاب الخمسة في معظمها الأعظم سليمة . وهي لدى عثمان سعدي أسلم ، ثم يأتي ابن هدوثة على الرغم من أن أسلوب هذا أجمل نسجا ، وأنقى شكلا وأدنى إلى الشاعرية الرقيقة منه إلى النثر العادي الفج " (15) . و نخرج من خلال هذا النص إلى أن : الشعرية = الشاعرية . على الأقل في كتابه هذا .

بل إن الدكتور يوسف و غليسي عدّ له عدة مصطلحات لهذا المفهوم : الشعرية - الشعرية - الماء الشعري - البوتيك - أدبية الشعر - الشعرانية . (16)

وقد علل له استعماله لمصطلح (شعرانية) قائلا : " اللغة العربية قد ألفت مثل هذه المنسوبات التي تضيف ألفا ونونا قبل ياء النسبة (عقلانية - ربابية - روحانية - نفسانية - جسمانية ...) " (17).

10/- فرق مرتاض بين الشعرية و الشعرانية : Poétique = الشعرانية .
الشعرية = Poéticité

فالشعرانية هي " النظام الشعري لشاعر أو كاتب لعهد معين ولبلد معين وقل إن هذا المفهوم ينصرف كما هو معروف إلى نظرية الإبداع الأدبي (Robert, Poétique) بينما ينصرف المفهوم الآخر (يقصد الشعرية) إلى الصفة أو الحالة التي تميز كتابته ما ، فهذا المعنى كأنه يقترب من معنى الأدبية Litteralité " (18) .

وقد علق الدكتور يوسف و غليسي على هذا المصطلح بعد أن أصل له في اللغة العربية قائلا : " إنما عيب الشعرانية أن المعيار التداولي (الذي قد نحتكم إليه في ترشيح مصطلح ما أو استبعاده) لا يقرها بحكم غرابتها لدى المتلقي ومحدودية استعمالها وندرة رواجها حتى إن صاحبها نفسه قد تنازل عنها في كتبه الأخيرة " (19).

وقد وجد الباحث أن مرتاضا في كتاب واحد و هو (في نظرية الرواية) يقابل Poétique بمصطلحين عربيين :
" ... و المشبع بالذاتية الضيقة ، هي في حقيقة أمرها شكل مناف للشعرانية (Poétique) " (20) .

ويقول في موضع آخر : " ذلك أن الحديث عن الأسلوب و الأدبية ، و الشعرية (Poétique) و النص و ... " (21).

11/- فرق مرتاض في كتاباته الأخيرة بين " الشعرية " و " الشعرية " حيث اقترح أن يطلق " مقابلا لمفهوم la poétique باللغة العربية " الشعرية " وذلك كي نميز بين " الشعرية " التي تعني المواصفات التي نلتمسها في نص شعري la poéticité وبين الشعرية التي هي نشاط نقدي يسعى إلى فهم وظيفة الكتابة الشعرية ، وقد قسنا الشعرية على اللسانيات " (22).

12/- يقول مرتاض : " اسم (La Poétique) هو مصطلح أسني جديد لم تجد له العربية بعد معادلا مقبولا ، إن ترجمته بالإنشائية أو الشعرية لا يعني كبير شيء فـ" البويتيك " عند جاكوبسن هو وظيفة اللغة الفنية للكتابة أو (Le laugage) التي بواسطتها يمكن أن تكون الرسالة عملا فنيا على الرغم من أن البويتيك لا يقتصر

على دراسة مشاكل اللغة الفنية للكتابة وإنما يجاوز هذا المجال الضيق إلى نظرية الإشارات" (23).

هذا النص من كتابه (النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟) الذي ألفه سنة 1983 و هو يقابل La Poétique بـ البويتيك أي يعتمد على التعريب . أما في كتابه (نظرية النص الأدبي) الذي طبع سنة (2007) فإنه أعاد هذا النص فيه و لكن بتغيير مصطلح البويتيك :

"... إن هؤلاء النقاد العرب المعاصرين لم يوفقوا في منظورنا نحن على الأقل ، إلى العثور على مقابل ملائم لهذا المفهوم النقدي السيميائي الغربي ، إذ ترجمته بـ " الإنشائية " أو " الشعرية " لا يعني كبير شيء وتعني (الشعرية) عند رومان ياكوبسن وظيفته اللغة الأدبية للكتابة التي بواسطتها يمكن أن ترقى رسالته ما (Message) إلى مستوى عمل فني ، ذلك على الرغم من أن الشعرية لا تقتصر على دراسة مشاكل اللغة الأدبية و لكنها تجاوز هذا الحقل الضيق إلى نظرية الأدب " (24).

بعد مقارنة هذا النص بسابقه يتبين أن مرتاضا قد عدل عن مصطلح (البويتيك) إلى مصطلح (الشعرية) ونقل مجال اشتغال البويتيك من نظرية الإشارات (في اعتقاد الباحث هي السيميائية) إلى نظرية الأدب بعامته .

و هذا التنقل و العدول عن بعض المصطلحات إلى مصطلحات أخرى جر الناقد مولاي علي بوخاتم إلى نقده قائلا : " .. بيد أن الاضطراب يبدأ في صياغة عبد الملك مرتاض حين نلفيه يقول مصطلح الشعرية مقابلا لفظ (Poétécité) كمفهوم يختص بجمالية الشعر ثم الشعرانية مقابلا للمصطلح (Poétique) الذي ينصرف إلى نظرية الشعرية " (25).

بل يزيد على ذلك تعليقا عندما قابل (Poétique) بصيغة الجمع (الشعرية) " فيشاكل بين مصطلحات مختلفة (الشعرية – الشعرانية – الشعرية) وفي اعتقادنا أن البون شاسع بين (La poéticite) (poétique) لأن مصطلح الشعرية دال في ذاته على الجمع فالقصيدة شعرية و القصائد شاعرية " (26) .

و لكن هذا الناقد – مولاي علي بوخاتم – الذي كان ينقد مرتاضا على استعماله للشعريات يعمل في كتاب آخر له مصطلح (سيميائيات) لمحمد مفتاح بقوله " وهناك استعمال آخر يعثر عليه عند محمد مفتاح هو مصطلح " سيميائيات " كصورة في قالب جمع على لفظ (سيميائية) و نموذج يحاكي صياغة الألفاظ الدالة على العلوم كالطبيعات و الرياضيات " (27).

إذن فنصه هذا يرد على نصه السابق ، ويستخلص الباحث أن الـ (الألف و التاء)
عندما تزداد في آخر المصطلح هي للدلالة على أن هذا المصطلح يمثل حقلا من حقول
العلم .

ويستطيع الباحث - في الأخير - أن يرصد تطورات هذا المصطلح في كتابات
مرتاض في جدول :

المصطلحات المتعددة المرادفة لمصطلح الشعرية في كتابات مرتاض

المصطلح	المرجع
La البويتيك Poétique	النص الأدبي من أين ؟ وإلى أين ؟
La الشعرية poétique = الشعرية البويتيك الماء الشعري الأدبية	أ. ي
الشعرية = الأدبية	السبع المعلقات.
= الشعرية الشاعرية	النص الأدبي من أين ؟ وإلى أين ؟
La = الشعرانية poétique و الشعرية = poéticité	في نظرية الرواية "هل الحداثة فتنة"
Poétique ↕ = الشعرانية الشعريات	في نظرية الرواية
= Poétique الشعريات	نظرية النص الأدبي / الأدب الجزائري القديم الكتابة من موقع العدم

شعرية (دون مقابل أجنبي)	تحليل سيمائي للخطاب الشعري تحليل الخطاب السردى ألف ليلّة و ليلّة - بنيت الخطاب الشعري
------------------------------	---

مصطلح الشعرية عند صلاح فضل :

خصص صلاح فضل لهذا المصطلح مساحة كبيرة من كتاباته فقد تناوله وتداوله ووظفه بشكل موسع حيث أنه خصص له كتاباً أسماه بـ : أساليب الشعرية المعاصرة وتناوله بشكل كبير في كتابه (شفرات النص) هذا إلى جانب بعض الكتب الأخرى.

والملفت للنظر أن فضل قد تناول هذا المصطلح بالتنظير المعاصر وكأنه لم يكن في التراث العربي، فهو لم يلتفت إلى التراث كما فعل مرتاض إلا في إشارة تكاد تكون عفوية عن ابن رشيق(28).

أما عن تاريخ شيوع هذا المصطلح فيقول فضل بأنه شاع في الستينات، حيث نقلت مركز القيمة في الأعمال الأدبية من السياق التاريخي والسياسي الاجتماعي والسياسي النفسي لتضعه في السياق المنبثق من الأعمال الأدبية ذاتها أي في طبيعتها الشعرية بالمفهوم الواسع لكلمة الشعرية التي لا تقتصر على جنس بذاته بل تشمل كل الأجناس الأدبية(29).

والمتتبع لكتاباته يجد الرجل يعتمد على ثلاثة أقطاب للنقد الغربي وهم : جاكوبسن وتودوروف وجون كوهن وخاصة جاكوبسن فهو يتبعه - تقريبا - في جميع كتاباته عن الشعرية .

ولكي ندخل في صلب الموضوع نسأل صاحبنا عن مفهوم الشعرية وما هي خصائصه ومميزاته وعلاقته ببقية العلوم كالسيمائية والأسلوبية وعلم البلاغة؟. لم يخرج صلاح فضل عن حرفة تعريف جاكوبسن للشعرية، فقد عرفها قائلا: "الوظيفة الشعرية وهي التي يصبح فيها التركيز على الرسالة ذاتها، قيمتها تكمن فيها، هذه القيمة هي التي تحدد الوظيفة الشعرية... أو أدبية الأدب تلك العناصر التي تجعل الأدب أدبا، تلك العناصر التي يمكن اعتبارها ماثلة في النص محددة لجنسه الفني ومكيفة لطبيعته تكوينه وموجهة لمدى كفاءته في أداء وظيفته الجمالية على وجه التحديد(30).

إذا فصلاح فضل يستعمل ويعرف الشعرية كبقية معظم نقاد العرب ولم يعلل اختياره لهذا المصطلح بالذات - على الأقل في حدود اطلاع الباحث - وقد فهمه فهم

جاكوبسن وتودوروف، فهذا الأخير مثلاً يقول عنها "هي ما يجعل من الأثر الأدبي أثراً أدبياً" (31)، وسنلاحظ فيما بعد أن صلاح فضل لا يفرق بين الشعرية والأدبية بينما نجده يرفض مصطلح الجمالية لأن الوقائع الشعرية توجد في قلب البنية اللغوية، بينما تعد الجمالية شيئاً فيما وراء اللغة (32).

أما عن الهدف الأساسي الذي سعت وراءه الشعرية فيحدده "فضل" بدقة متناهية عندما يقول بأنه "تحديد الفوارق الخاصة بالفن اللغوي والمميزة له عن بقية الفنون ومظاهر السلوك اللغوي" (33).

إذن فهي تحاول أن ترسم حدود الفن اللغوي لكي لا يتماهى مع بقية الفنون الأخرى ومع سائر السلوكيات اللغوية الأخرى، كالكلام اليومي العامي، بل إنها تكيف الدلالة المركزية للعلامة الأدبية وتحدد بؤرتها الفاعلة ومركز ثقلها المهيمن (34).

أما إذا سألناه عن المعيار اللغوي للوظيفة الشعرية فإنه يترك الإجابة لجاكوبسن وهو بدوره يقول أن لا بد من استحضار الطريقتين للصياغة وهما: الاختيار والتأليف، ومثل على ذلك بأنك إذا أردت التعبير عن طفل صغير فإنك مخير بين أن تقول: طفل — صبي — غلام — ولد، وتريد أن تقول بأنه ينام فأنت مخير بين: ينعس — ينام — يغمض جفنيه — يهز رأسه. ثم يتم التأليف بين كل كلمة من المجموعتين. فعملية الاختيار تمت على أساس التعادل أي من المتشابه وعدمه، وعملية التأليف هي تكوين الحدث على أساس من التجاور (35).

وبهذه العملية أضفى "فضل" الصبغة اللسانية على مصطلح الشعرية.

كما يسم فضل "الشعرية" بأنها عمل فردي يعتمد على الإبداع ويرتكز على أساسين: التقاليد الشعرية الراسخة، والثاني لغة الحياة المعاصرة (36).

فالشاعر المعاصر إن كتب بقلم المتنبي أو بقلم امرئ القيس فإن شعره لا يرتقي إلى مرتبة الشعرية لأنه لم يتكلم بلسان زمانه، إذا فالشعرية قيمة زبئية تنتقل وتتغير بتغير العصر والمكان، ووسمه إياها بأنها فردية يعني أن هناك شعرية لا شعرية واحدة، فكل شاعر له شعرية الخاصة به، وهذا كله مع عدم الخروج عن التقاليد الشعرية الموروثة.

وماذا عن الغموض والوضوح هل يدخلان في تحديد مفهوم الشعرية المعاصرة؟

يقرر فضل أن الوضوح ضرر على الشعرية (37)، ويذهب إلى أكثر من ذلك حينما يقول بأن تعدد "الدلالات وتتابعها وترائي بعضها خلف البعض الآخر في درجات دققة من التكثيف والشفافية، لا تصل إلى الإعتام والتراكب المربك. يعد من أنضر حالات الشعرية في القصيد والقصص على تنوع طرائق هذا التعدد بعد ذلك (38) ".

ولكن أليس الإبهام مأزقا تورطت فيه الشعرية بحكم تعايشها مع الكتابات الإبداعية المعاصرة، فوجدت نفسها لا تنفك عنه وأنها مضطرة إلى تقبله؟
أجاب صلاح فضل قائلا بأنه "لابد أن نكف عن اعتبار الإبهام مجرد مأزق في التعبير ولا نكسبه في مسار الشعرية كما يتوهم الإيديولوجيون السذج إنه شيء كامن في جذور الشعر ومرتبطة عضويا بطبيعته التي تجهد في تكوين عمليات تشفير جديدة كلما احترقت بضوء التكرار عملياته السابقة" (39).

ولكن هل الغموض الذي هو ليس بمأزق، أم الإبهام؟ فالإبهام هو انغلاق النص على القارئ، والغموض هو الضبابية التي تكتنف ذهن القارئ في أول قراءة للنص وتزول هذه الضبابية بعد شيء من القراءة والتحليل والتركيز.

وهناك عنصر آخر مهم تعتمد عليه الشعرية وهو عنصر "الاقتصاد"، أي أن اللغة التي تنتظم في قصيدة لابد لها أن تتسم بالقصد والتركيز والتكثيف بحيث يتم تشغيل عناصرها غيايا وحضورا بفعالية كبيرة هذا الاقتصاد جوهرى في قصيدة النثر لأنه مظهر الشعرية فيها" (40).

وهذا العنصر يذكرنا في البلاغة العربية بمفهوم الإيجاز وهو عنصر فعال في البلاغة إلى درجة أن أحد تعريفات البلاغة هو: الإيجاز، ولكنه الآن يتلون بلون لغوي آخر وهو الاقتصاد.

وذكر فضل أن للشعرية جهازا مفاهيميا له خمس درجات مترابطة (41)؛

درجة الإيقاع _ درجة النحوية _ الكثافة _ التشتت _ التجريد.

ويحب الباحث أن يطرح سؤالا ذا بال: هل الشعرية مقتصرة فقط على الشعر؟

يجيب فضل بطريقة ذكية بأن طرح سؤالا جوهريا: هل كل بيت منظوم يعد شعرا؟ فأجدها نستثنى من هذا المنظومات التعليمية والأدبية. وهذا الجواب يؤكد أن الوظيفة الشعرية ليست قاصرة على الشعر ولكنها تلعب فيه الدور الغالب (42).

من هذا المنطلق سوف يساوي فضل بين الشعرية والأدبية في مواضع عدة من كتاباته.

والآن لابد وأن لهذه الشعرية علاقات مع علوم أخرى فهي لم تأت من فراغ وتواجهنا لن يكون حياديا، فالشكلائية أنشأتها والبنوية أنصبتها، وطورتها السيميائية بعد ذاك، فكيف يرى فضل علاقة السيميائية مثلا بالشعرية؟

يقول فضل: "وإذا كانت السيميولوجيا — كما يقول إيكو في مفاصله الطريفة — هي العلم الذي يدرس كل ما يمكن استخدامه من أجل الكذب على أساس اعتمادها على فكرة العلامة المكونة من الدال البديل لأي شيء آخر، فإنها بذلك في تقديري

مهيئة لاختيار درجات الصدق الفني في الأعمال الأدبية وقياس مستويات كفاءتها وطرائقها في الترميز والتكثيف وهو ما نعينه بالشعرية" (43).

إذا مناط اشتراك الشعرية مع السيميائية هو اختيار درجات الصدق الفني وقياس مستويات كفاءتها الدلالية وطرائق الترميز والتكثيف.

أما عن علاقة الشعرية بالأسلوبية فتكمن في التقاط الخواص اللغوية المكونة لأدبية النص والمحددة لمظهره الجمالية وعن كيفية نجاح النص في تحقيق الوظيفة الشعرية عبر مجموعة من الإجراءات (44).

وللباحث في الأخير أن يبين مواقع الاضطراب التي زلت فيها قدم صلاح فضل؛ لا يفرق فضل بين الشعرية والأدبية في كثير من المواضع (45). ولعله يتكئ على صنيع كروتشيه الذي كان يعتقد أن رواية "مدام بوفاري" لا تقل شعرية عن ديوان شارل بودلير "أزهار الشر" الذي يعد بدوره قصة نقدية، وعندما كان كروتشيه يحاول تحديد الأدبية فهو يشير إلى الشعراء مثلما يشير إلى القصاصين (46).

استخدامه لمصطلح "الشاعرية" بدل مصطلح "الشعرية" في مواضع عدة، والمتتبع لكتابات فضل يرى أنه يميل كثيرا إلى استعمال هذا المصطلح في باكورة كتاباته النقدية وبالضبط في كتابه "إنتاج الدلالة الأدبية"، فقد استعمل "الشاعرية" عدد ما استعمل "الشعرية" تقريبا، وتخلّى في كتاباته النقدية المتأخرة عن مصطلح الشاعرية، وركن إلى الشعرية. كما تجدر الإشارة إلى أن بعض النقاد يرفضون مصطلح الشاعرية لأنها متعلقة بالشاعر ويفضلون استعمال الشعرية لتعلقها بالشعر.

موازنة بين عبد الملك مرتاض وصلاح فضل في مصطلح الشعرية:

1. عاد مرتاض إلى التراث واستخلص منه هذا المفهوم ووجده عند الجاحظ وابن قتيبة والحصري وابن رشيق والجرجاني، ومن بين هذه المصطلحات المقابلة لهذا المصطلح (البيان، الديباجة، النظم..)، أما فضل فلم يلتفت إلى التراث بل عالج هذا المصطلح من وجهة حداثة معاصرة واستند في ذلك على ثلاثة من أقطاب النقد الغربي المعاصر: جاكوبسن، جون كوهن، تودوروف.

2. يقابل مرتاض LA POETIQUE بمصطلح الشعرية وكذلك يقابلها ب: الشعرانية- البوتিকা- أدبية الشعر- البويتيك- الإنشائية. أما عند فضل فإن المصطلح الانجليزي POETICS تقابله الشعرية وكذلك الأدبية وكذلك الشاعرية، ومرتاض يقابل الماء الشعري بالأدبية.

3. الشعرية عند مرتاض هي جزء من الأدبية وأحيانا يطابق بينهما، أما فضل فإن الشعرية هي الأدبية.

4. يعلل مرتاض غالبا اختياره لمصطلحاته التي طرحها أما فضل فلا يعلل ذلك غالبا .

5. تناول مرتاض هذا المصطلح من وجهة اللغوي ووظيفته فقط ، أما فضل فقد فصل كثيرا في العناصر المكونة لهذا المصطلح ، كالإيقاع والخيال والغموض والتكثيف والتراكب والاقتصاد .

التهميش :

- ¹ عبد الملك مرتاض - (أ. ي) دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان 1969 . ص 17.
- ² المرجع نفسه ص 16. _ ³ المرجع نفسه ص 17.
- ⁴ عبد الملك مرتاض - النص الأدبي من أين ؟ وإلى أين - ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983 ص 26 / 27.
- ⁵ عبد الملك مرتاض - (أ. ي) ص 146.
- ⁶ عبد الملك مرتاض - النص الأدبي من أين ؟ وإلى أين ؟ ص 27.
- ⁷ عبد الملك مرتاض - (أ. ي) ص 06.
- ⁸ المرجع نفسه ص 62.
- ⁹ الجاحظ - الحيوان - دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان 1969 ، ج 3 ، ص 331
- ¹⁰ المرجع نفسه ص : 96 .
- ¹¹ المرجع نفسه ص 145 .
- ¹² عبد الملك مرتاض - السبع المعلقات (مقارنة سمائية أنتروبولوجية لنصوصها) . من منشورات اتحاد الكتاب العرب . 1998 . ص 05.
- ¹³ عبد الملك مرتاض - (أ. ي) ص : 146.
- ¹⁴ عبد الملك مرتاض - النص الأدبي من أين ؟ وإلى أين ؟ وإلى أين ؟ ص 32.
- ¹⁵ عبد الملك مرتاض - القصة الجزائرية المعاصرة - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1990 - ص 225.
- ¹⁶ يوسف و غليسي - إشكالية المصطلح - ص 282 - 285.
- ¹⁷ المرجع نفسه ص 300.
- ¹⁸ عبد الملك مرتاض - في نظرية الرواية ص 312.
- ¹⁹ يوسف و غليسي - إشكالية المصطلح . ص 300.
- ²⁰ عبد الملك مرتاض - في نظرية الرواية ص : 95.
- ²¹ المرجع نفسه ص 249.
- ²² عبد الملك مرتاض - نظرية القراءة ص 170 (في الهامش) .
- ²³ عبد الملك مرتاض - النص الأدبي من أين ؟ وإلى أين ؟ ص 26، 27.
- ²⁴ عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي ص 94.
- ²⁵ مولاي علي بوخاتم - مصطلحات النقد السيميائي . ص 269.
- ²⁶ المرجع السابق ص ن .
- ²⁷ مولاي علي بوخاتم - الدرس السيميائي المغاربي - ص 145.
- ²⁸ . ينظر: أشكال التخيل من فتاة الأدب والنقد. صلاح فضل . الشركة المصرية العالمية للنشر. لونجمان. مصر. ط 1. 1996. ص 116
- ²⁹ . ينظر: مناهج النقد المعاصر. صلاح فضل. الأفاق العربية. القاهرة. مصر. د. ت. ص 88

- ³⁰ . مناهج النقد المعاصر. صلاح فضل. ص 88
- ³¹ . تازافيتان تودوروف. الشعرية. ترجمة: شكري المبخوت. رجاء سلامة. دار تويغال. المغرب. ط 2. 1990. ص 36
- ³² . علم الأسلوب مبادئه وأجراءاته. صلاح فضل. دار الشروق. القاهرة. مصر. ط 1. 1988. ص 240
- ³³ . شفرات النص. صلاح فضل. ص 115
- ³⁴ . ينظر المرجع نفسه. ص 7
- ³⁵ . نظرية البنائية في النقد الأدبي. صلاح فضل. ص 388. 389
- ³⁶ . المرجع نفسه، ص 118
- ³⁷ . شفرات النص. صلاح فضل. ص 253
- ³⁸ . المرجع نفسه. ص 118
- ³⁹ . أساليب الشعرية المعاصرة. صلاح فضل. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع. مصر. 1998. ص 236
- ⁴⁰ . المرجع نفسه. ص 314
- ⁴¹ . المرجع نفسه. ص 27
- ⁴² . نظرية البنائية في النقد الأدبي. صلاح فضل. ص 389
- ⁴³ . شفرات النص. صلاح فضل. ص 8
- ⁴⁴ . ينظر: المرجع نفسه، ص 116
- ⁴⁵ . ينظر على سبيل المثال. نظرية البنائية. ص 296. مناهج النقد المعاصر. ص 88. أشكال التخيل. ص 115
- ⁴⁶ . ينظر بلاغة الخطاب وعلم النص. صلاح فضل. ص 63